

دور « المعرفة » في الحياة الخلقية . ولو أننا حاولنا الآن أن نفصل في هذا النزاع الأخلاق الذي قام بين سقراط من جهة ، وفلاسفة المسيحية من جهة أخرى ، لوجدنا أن الفيلسوف اليوناني الكبير قد جانب الصواب حينما عمد إلى التوحيد تماماً بين في الاتجاه المضاد حينما راحوا يؤكدون أن « الفضيلة لا تعلم » العلم و « الفضيلة » ، في حين أن فلاسفة المسيحية قد تطرّفوا « على الإطلاق . صحيح أن « الفضيلة » ليست مجرد « علم . وحين يكون الإنسان مفتقراً إلى هذا الضرب من « المعرفة » ، فلا بد لعلم الأخلاق من أن يضطلع بمهمة تلقينه مثل هذه « المعرفة » . ومعنى هذا أنه لا بد للإنسان – قبل الإقدام على اتخاذ تصميماته الخلقية – من أن يكون ملماً بتلك القواعد الأخلاقية التي سيكون عليه أن يعمل بها أو أن يخرج عليها . ونحن لا ننكر أن مثل هذه « المعرفة » لا تضمن لنا سلفاً إقبال صاحبها على أداء الفعل الخير ، أو تحقيق : السلوك القويم » ، وهنا قد يعود الفلاسفة النظريون (من أمثال شوبنهاور) إلى الاعتراض ، فيقولون إن مهمة (الأخلاق » الأولى هي الكشف عن « الحقيقة » في مضمار السلوك ، دون التعرض للحياة الخلقية بوصفها (عملاً » أو « فنا » . وردنا على – هذا الاعتراض أن عملية الكشف عن معنى آرائنا الخلقية قد لا تخلو من تأثير هي نفسها – على سلوكنا العملي ، لأنها تسلط على مبادئنا الكامنة أضواء الوعي أو الشعور ، إن لم نقل بأنها قد تؤدي بنا إلى نبذ بعض الآراء الأخلاقية السائدة على ضوء ما تكشف عنه تلك الدراسة من « مبادئ جوهرية » . والحق أن الكثير من فلاسفة الأخلاق قد فطنوا إلى أن « وأمر الضمير » تمثل وصايا عقلية تقبل التحليل والتبرير وبالتالي فإنهم دوراً هاماً في صميم حياتنا الخلقية . ولا شك أن مثل هذا (التحليل » العقلي إنما يضطلع بمهمة Reason « قد جعلوا » للعقل تربية الضمير : لأنه هو الذي يجعل أو امر الضمير أكثر اتساقاً وأشد توافقاً مع « القانون الحاقى » الموضوعي . ولعل هذا ما عناه فلاسفة (المثالية) (خصوصاً من بين رجالات المدرسة الأخلاقية الإنجليزية) حينما ذهبوا إلى أن مهمة الحياة الخلقية هي تسليط الواعي أضواء الوعي أو الشعور على ذلك العنصر « العقلي » ، « الروحي » ، فما ذلك إلا بالدراسة التأملية لتلك القواعد D الخلقية التي اصطنعها الإنسان في توجيهه لسلوكه ؛ وهذه هي نقطة البدء في كل دراسة أخلاقية – ويمضى . بعض فلاسفة الأخلاق إلى حد أبعد من ذلك فيقولون إن الدراسة الأخلاقية التي . يتم عن طريقها تسليط الأضواء العقلية على (العوامل الروحية المؤثرة على السلوك الخير أو الحياة الخلقية القويمة ، لهي بمثابة واجب خلق أساسي يقع على عاتق الإنسان . وهنا تظهر الصلة الوثيقة التي تجمع بين النظر » و « العمل » . في مضمار السلوك الخلقى : فإنه لمن الواضح أن « النظر » الأخلاق موجه منذ البداية ولا D (نحو الحياة العملية ، كما أن (العمل » الخلقى قائم بطبيعته على فهم صحيح لروح (القانون الخلقى ، بوصفه مبدأً عقلياً 1) ترانا في حاجة إلى التدليل على قيمة « الأفكار الخلقية » في حياة الأفراد والجماعات : فإن التجربة لنظهرنا على أننا حريصون دائماً على التمييز بين الفكرة الصائبة والفكرة الخاطئة ، بل وفي مجال الأخلاق أيضاً . فإننا كثيراً ما نعود إلى أفكارنا محاولين فحصها وامتحانها ، لأننا على ثقة من أن سوء تصرفنا لا بد من أن يكون راجعاً إلى خطأ في التفكير أو التقدير أو التقييم أو وزن الأمور . صحيح أن ظروف الحياة هي من السعة والتعقد بحيث إنه هياكل للمبادئ الأخلاقية العامة أن تمدنا – في كل حالة – بالميزان العقلي الصحيح الذي يسمح لنا بتقييم كل . ولكن من المؤكد أن الإمام بالمبادئ الأخلاقية العامة كثيراً ما يضع بين يدي المرء « معايير ثابتة ؟ يمكن تطبيقها على الحالات الجزئية . وحتى لو افترضنا أن كل ما يمكن أن تقدمه لنا (الأخلاق الفلسفية » هو مجرد فكرة عامة عن حقيقة الخير ، أو طبيعة (القيم » ، فستظل لهذه الفكرة العامة قيمتها الكبرى بوصفها « معياراً » للخير والشر بوجه عام . وليس ما يمنعنا بعد ذلك من أن نحاول تطبيق المبادئ الأخلاقية على الحالات الخاصة ، وليس من شك في أن ميدان (التطبيق العملي » كثيراً ما يكون مناسبة طيبة لتصحيح بعض أفكارنا الخلقية ، أو لتعديل بعض مبادئنا الأخلاقية . وكثيراً ما تجيء « التجربة » ، فتكشف للفيلسوف الحدسى (مثلاً) عن وجود ضرب من « التناقض بين بعض (القواعد » التي توصل إليها عن طريق « الحدس » ، فيكون عليه من بعد أن يعاود النظر في مذهبه الأخلاقي ، حتى يقضى على ما فيه من أسباب التناقض – ولا شك أننا إذا لم نحصر – بين الحين والآخر – على مراجعة مبادئنا الأخلاقية وضبطها ، عن طريق النظر إلى آثارها في الحياة العملية وطريقة تطبيقها على الحالات الخاصة ، ومواقف السلوك الجزئية ، ولكن من الواضح أن الحالات الخاصة ومن ثم فإنه ليس ما يمنع « علم الأخلاق » من تصنيف تلك « الفئات » والعمل ، Classes (نفسها يمكن أن تندرج تحت (فئات على فهمها في ضوء القوانين الأخلاقية العامة ، وأن يدع التفاصيل (أو الجزئيات) تهتم بنفسها ، خصوصاً وأن كل كرامة الإنسان ، وكل ما لديه من استقلال ذاتي ، (1) . إن الانحراف المهني ليقع في ظن الفلاسفة أن الإنسان موجود « نظري » ، والمعرفة ، والتغيير من عالمه وعالم الآخرين . وحتى حين يقوم الإنسان بعملية « إدراك » الأشياء من حوله ، وانفعالات ، وقدرة على التقييم . بل هو أيضاً إنسان (عامل ، ويسعى جاهداً في سبيل المشاركة في تحقيقها . وحينما جعل سقراط من الحكمة « المثل الأعلى

للحياة الخلقية ، فإنه لم يكن يعنى بها مجرد « البحث النظري الصرف » ، وكان على إدراك . الحكيم ود هو ذلك الانان دلالات « .
وتبعاً الذي يتمتع بقدرة نفاذة ما في الحياة من « قيم لذلك فقد ذهب سقراط إلى أن «الحكيم» هو الرجل الذي يملك حقلية متفتحة
لا تغلق عينيها عن أية (قيمة) ، ولا تكف مطلقاً عن رؤية الأشياء والأشخاص دون أن ينكر في الوقت نفسه أن « الحكيم » أيضاً
ويعمل شيء يسهم في ^٩ هو الرجل الذى لا يكف عن الاكتشاف والبحث والتعلم . وهذا هو السبب في أن كل زيادة نموه ره الخلقي
على إثراء القيمة الضمنية لحياته الخاصة . وإن كان يريد أن يفهمهم من الداخل» ، وحرية ، وإن المرء ليلتقى في حياته العادية
بالعديد من الموجودات ، ولكن قليلون هم أولئك الذين « يراهم » بالمعنى الأخلاقي لهذه الكلمة ، وبالمثل ، ولكن لكى ينزلق
السطح على السطح ، غير متلامسة ، أو أن يفقد ذاته نهائياً في أية ذات أخرى (١) ، ولكن من المؤكد أن كل شخص يحن – في
قرارة نفسه – إلى أن يصبح مرئياً « من جانب شخص آخر ، من جانب الآخرين ؟ وهل يمكن أن تكون في الحياة ، ودون أن
، يشعر به أحد